الفكر الأصولي عند الإمام الشافعي:
دراسة تحليلية نقدية

إعداد

شعيب مُحَمَّد واني

بحث متطلب مقدم لنيل درجة الدكتوراه في معارف الوحي والتراث

قسم الفقه وأصول الفقه
كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية
الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا

مايو 2021م

ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلى دراسة الفكر الأصولي عند الإمام الشافعي كمنظومة أصولية متكاملة. حيث استقرأ الباحث مصنفات الإمام الشافعي ومصنفات أصحابه وتلاميذه، فبدأ بتسليط الضوء على المشروع الأصولي عند الإمام الشافعي ودعائمه وأسبابه لتدوين علم أصول الفقه، وتبيّن من خلاله أن السبب الرئيسي له كان الفجوة بين المدرستين: أهل الحديث وأهل الرأي، التي تسبب في الاضطراب المنهجي في فهم النصوص. ووضّح الباحث أن أساس الفكر الأصولي عنده نظرية البيان وهو عبارة عن التعامل الدقيق بين الكتاب والسنة، وأداة ذلك التعامل لسان العرب. وبعد تعريف البيان وذكر أقسامه، حدّد الباحث أقسام البيان عند الشافعي وناقشها وهي ثلاثة: البيان بالكتاب، ووالبيان بالسنة، والبيان بالاجتهاد أوالقياس. وتطرق من خلال أقسام البيان إلى شرح المسائل المتعلقة بكل قسم. ومما أبدع فيه الشافعي، جعله الكتاب والسنة في مرتبة واحدة، فالقرآن بيان والسنة تبيينه. وتبّين من خلاله أن الشافعي ابتكر منهجاً منطقياً سليماً إلى المعرفة وعاصماً من الزلل في بناء الأفكار واستنباطها.

ABSTRACT

This Research aims to study the Usūlī thought of Imām al-Shāfi‘ī as a comprehensive legal methodology. The researcher begins with an inductive study of the works of Imām al-Shāfi‘ī, his companions and students, which led to the elucidation of the Usūlī project of al-Shāfi‘ī, its foundations and the reasons behind its codification. And it became clear that its main aim was reconciliation between the methods of Ahl al-Ra’y and Ahl al-Ḥadīth which was the main cause of methodological inconsistency in understanding the texts of Qur’ān and Sunnah. The researcher further explained the main foundation of the Usūlī thought of Imām al-Shāfi‘ī: al-Bayān, a subtle Qur’an-Sunnah interaction which produces all law. And the main tool of understanding this interaction is the Arabic language. This innovative principle: al-Bayān is the genius of al-Shāfi‘ī. After that, the researcher discusses the types of al-Bayān: By Qur‘ān, Sunnah and Ijtihād. The researcher also explains some of the most important issues connected with these types. In conclusion, by his legal thought, Imām al-Shāfi‘ī laid foundation of a logical and consistent methodology of law which is a balance between the Ahl al-Ra’y and Ahl al-Ḥadīth approaches.

APPROVAL PAGE

The thesis of Shaib Mohd Wani has been approved by the following

Assoc. Prof Dr. Hassan Ben Ibrahim Hendaoui
Supervisor

Assoc. Prof. Dr. Abdul Bari Awang
Internal Examiner

Assoc. Prof. Dr. Said Bouheraoua
Exernal Examiner

Assoc. Prof. Dr. Naamane Djeghim
External Examiner

Assoc. Prof. Dr. Akram Zeki Khedher
Chairperson

DECLARATION

I hereby declare that this dissertation is the result of my own investigations, except where otherwise stated. I also declare that it has not been previously or concurrently submitted as a whole for any other degrees at IIUM or other institutions.

Shaib Mohd Wani

Signature…… Date……..

الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا

إقرار بحقوق الطبع وإثبات مشروعية استخدام الأبحاث غير المنشورة

حقوق الطبع 2021م محفوظة لــ: شعيب مُحَّد واني

الفكر الأصولي عند الإمام الشافعي: دراسة تحليلية نقدية

لا يجوز إعادة إنتاج أو استخدام هذا البحث غير المنشور في أي شكل وبأي صورة (آلية كانت أو إلكترونية أو غيرها) بما في ذلك الاستنساخ أو التسجيل، من دون إذن مكتوب من الباحث إلا في الحالات الآتية:

1- يمكن للآخرين اقتباس أية مادة من هذا البحث غير المنشور في كتابتهم بشرط الاعتراف بفضل صاحب النص المقتبس وتوثيق النص بصورة مناسبة.
2- يكون للجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا ومكتبتها حق الاستنساخ (بشكل الطبع أو بصورة آلية) لأغراض مؤسساتية وتعليمية، ولكن ليس لأغراض البيع العام.
3- يكون لمكتبة الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا حق استخراج نسخ من هذا البحث غير المنشور إذا طلبتها مكتبات الجامعات ومراكز البحوث الأخرى.
4- سيزود الباحث مكتبة الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا بعنوانه مع إعلامها عند تغير العنوان.
5- سيتم الاتصال بالباحث لغرض الحصول على موافقته على استنساخ هذا البحث غير المنشور للأفراد من خلال عنوانه البريدي أو الإلكتروني المتوفر في المكتبة. وإذا لم يجب الباحث خلال عشرة أسابيع من تاريخ الرسالة الموجهة إليه، ستقوم مكتبة الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا باستخدام حقها في تزويد المطالبين به.

أكد هذا الإقرار: شعيب مُحَّد واني

التوقيع:..... التاريخ: .....

الإهداء

إلى الإمام المطّلبي مُحَمَّد بن إدريس الشافعي رحمه الله

شكر وتقدير

أتوجه وأبتهل بالحمد والشكر والثناء، متضرعاً وخاشعاً إلى ربي تبارك وتعالى أولاً وآخراً كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، على إحسانه وتوفيقه إيايَ من إنجاز هذا البحث؛ فلولا فضله ومنّه وكرمه لما استطعت من إكمال هذا البحث.

وأنتهز هذه الفرصة السعيدة لكي أقدم جزيل شكري وامتناني إلى فضيلة الدكتور حسن بن إبراهيم الهنداوي حفظه الله تعالى، الذي كان معي في كل مرحلة من مراحل كتابة هذا البحث وتعامل معي أحسن معاملة، وما كان في وسعي أن أنجز هذا العمل بدون مساعدته فأشكره لإشرافه عليَّ، وعلى ملاحظاته القيمة، ونصائحه الطيبة التي كانت نبراساً في طريقي لإتمام هذه الرسالة؛ فجزاه الله تعالى خير الجزاء.

كما أتوجه بوافر الشكر والاحترام إلى الممتحنين لهذا البحث خاصةً المشرف الثاني لرسالتي فضيلة الدكتور عبد الباري بن أوانغ حفظه الله، الذي صحّح هذا البحث بشكل دقيق وإلى لجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا التي احتضنتني خلال فترة الدراسة فيها، وأشكر القائمين على كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، وبالأخص المسؤولين بقسم الفقه وأصوله، فجزاهم عنّي خير الجزاء.

فهرس المحتويات

ملخص البحث باللغة العربية ..... ب

ملخص البحث باللغة الإنجليزية ..... ج

صفحة القبول..... د

إقرار الطالب..... هـ

حقوق الطبع ..... و

الإهداء ..... ز

الشكر والتقدير..... ح

أساسيات البحث 1

مشكلة البحث..... 2

أسئلة البحث وأهدافه..... 4

أهمية البحث 5

حدود البحث..... 5

منهج البحث 6

الدِّراسات السّابقة 8

الفصل التمهيدي: المشروع الأصولي للإمام الشافعي ومصادره.....25

المبحث الأول: شخصية الإمام الشافعي وعصره.....25

المطلب الأول: شخصية الإمام الشافعي رحمه الله 26

المطلب الثاني: عصر الإمام الشافعي وأثره في تكوين علمه.....41
المبحث الثاني: تمهيد في المشروع الأصولي عند الإمام الشافعي.....43
المطلب الأول: وصف عام لمنهج الإمام الشافعي الأصولي 46
المطلب الثالث: دعائم المشروع الأصولي للإمام الشافعي.....59
المبحث الثالث: مصادر الفكر الأصولي للإمام الشافعي.....70
المطلب الأول: مؤلفات الإمام الشافعي 73
الفصل الأول: مفهوم البيان وأقسامه عند الإمام الشافعي.....93
المبحث الأول: حجيّة الإمام الشافعي في اللسان العربي 93
المبحث الثاني: مفهوم البيان وأقسامه.....94
المطلب الأول: تعريف البيان عند الشافعي.....95
المطلب الثاني: أقسام البيان عند الشافعي.....98
المبحث الثالث: مناقشة مفهوم البيان وأثره بعد الشافعي 106
المطلب الأول: أثر نظرية البيان بعد الشافعي والتأثر بمنهجه وعلمه.....107
المطلب الثاني: نقد نظرية البيان 117
المبحث الرابع: موضع البيان ومنطَلَقه عند الشافعي 122
المطلب الأول: الكتاب/القرآن 125
المطلب الثاني: عربيّة القرآن الكريم 126
المطلب الثالث: دلالات الألفاظ القرآنية 131
المطلب الرابع: النسخ في القرآن 138

المطلب الخامس: أقسام الفرائض في القرآن..... 148
الفصل الثاني: البيان بالسنّة عند الإمام الشافعي 152
المبحث الأول: موقع السنة من الكتاب 152
المطلب الأول: وجوه السنة مع القرآن..... 153
المطلب الثاني: حجيّة خبر الواحد والرد على من أنكره 157
المطلب الثالث: شروط قبول خبر الخاصة..... 163
المبحث الثاني: تأسيس الشافعي لعلوم الحديث..... 170
المطلب الأول: حجيّة الحديث المرسل عند الإمام الشافعي..... 175
المطلب الثاني: العلل في الأحاديث/منهجية الشافعي في علم مختلف الحديث..... 184
المبحث الثالث: الإجماع عند الإمام الشافعي..... 202
المطلب الأول: حقيقة الإجماع عند الشافعي 204
المطلب الثاني: الإجماع السكوتي عند الشافعي 208
المطلب الثالث: دليل الإجماع عند الشافعي..... 216
الفصل الثالث: البيان بالاجتهاد/ القياس عند الإمام الشافعي..... 219
المبحث الأول: مفهوم الاجتهاد عند الإمام الشافعي ومسائله..... 219
المطلب الثاني: شروط الاجتهاد 223
المطلب الثالث: الصواب والخطأ في الاجتهاد 226
المطلب الرابع: الاختلاف وأقسامه عند الشافعي 231
المبحث الثاني: مفهوم القياس وأقسامه عند الشافعي 234

المطلب الأول: حقيقة القياس عند الشافعي..... 234
المطلب الثاني: دليل القياس عند الشافعي 238
المطلب الثالث: أنواع القياس عند الشافعي 239
المطلب الرابع: أمثلة القياس عند الشافعي 244

أساسيات البحث

إن الإمام الشافعي رحمه الله فحل من فحول الأمة، وعَلَم من أعلامها، وهو غني عن التعريف به في مختلف العلوم الشرعية، فله مساهمة بالغة المدى في جميع تلك العلوم. فإذا رجعنا إلى علم أصول الفقه خاصةً نجد أنه أوّل من دوّن هذا العلم وأبرزه من حيّز الإشكال إلى حيّز التجلي في كتابه النفيس "**الرسالة**"، ثم مارسه تطبيقاً بتدوين موسوعته الفقهية "**الأمّ**"، فضلاً عما نقله عنه الإمام المزني في مختصره، وعليهما يعتمد في نسبة الأقوال الجديدة إليه وتقريرها وتحريرها، تمييزاً لها عن أقواله القديمة في كتبه التي تحملّها عنه الإمام الزعفراني الفقيه البغدادي وهو أثبث رواة القديم، وهو راوي كتاب "**الحجّة**"، وهو الكتاب المعروف بالقديم وبالبغدادي. وعلى الرغم من أنّ شهرة الإمام الشافعي قد بلغت مبلغاً عظيماً إلا أننا نجد بحوثاً قليلة تناولت فكره الأصولي بشمولية واستيعاب وذلك بتتبع مختلف كتبه وكتب العلماء الشافعية والوقوف على مدى التزامه بالمنهج الأصولي الذي ارتضاه في الاجتهاد.

ونحن نعيش في زمان اختلطت فيه مفاهيم النصوص الشرعية على عامة المسلمين ومن ثم نشأ من هذا الاختلاط فساد التصور للإسلام عامّةً والشريعة خاصّةً. ومن هذا الفساد: التفسير المنحرف للنصوص الشرعية، ولعل سببه الرئيس عدم اتخاذ مناهج أسلاف هذه الأمة مناراً ونبراساً للطريق. فإذا أردنا تصحيح هذا الخطأ الجسيم، ينبغي علينا أن نأخذ العلم من أصله ومنبعه لا من جَرَيانه لأنه "من أخذ العلم من عين العلم ثَبَت ومن أخذه من جَرَيانه أخذته أمواج الشُبَه ومالت به العبارات واختلفت عليه الأقوال"[1]. فالمنهج العلمي الرصين ظاهر لدى الإمام الشافعي رحمه الله في كل ما خطت يمينه، ولكنه واضح في مجال أصول الفقه أتم الوضوح، ولا بد من دراسته للوصول إلى المنهج الصحيح لتفسير النصوص الشرعية عامةً وإظهار منهجية أصولية في مرحلتها التأسيسية خاصةً، فضلاً عن الاهتمام بتطبيق هذا المنهج، لاسيّما أنّ صاحب هذا المنهج هو نفسه قد مارسه اجتهاداً في فروع الفقه، ودونها في موسوعته الفقهيّة "**الأم**".

---

[1] ابن قيم الجوزية مُحَمَّد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي، **مدارج السالكين**، دراسة وتحقيق: د. علي بن عبد الرحمن القرعاوي (الرياض: دار الصميعي، ط1، 1436هـ/2011م) ج2، ص1351.

مشكلة البحث

فإن العائق الأكبر في درس وفهم بداية (origins)[2] علم أصول الفقه غياب أي دراسة شاملة للفكر الأصولي عند أوّل من دوَّنه وأسَّسه بوصفه منظومة متكاملة، ألا وهو الإمام الشافعي رحمه الله. ومن ثمَّ يفضي هذا الإشكال الأساسي إلى إشكالات أخرى مثل عدم رؤية واضحة لتشكُّل علم أصول الفقه في بدايته وعدم وضوح ارتباطه بكتابات أصول الفقه في مرحلة النضوج[3]. وقد أدّى هذا الإشكال بالباحثين والكُتَّاب – الغربيين منهم خاصةً – في مجال أصول الفقه إلى اضطراب في تقويم شخصية الإمام الشافعي الأصولية، وعدم وضوح التطور التاريخي لعلم أصول الفقه.

فبعض الكتَّاب رأى أن تفسير الإمام الشافعي رحمه الله للشريعة تفسير مادي وأصوله مبنية على الظاهر من النصوص، مثل الشيخ أبي زهرة رحمه الله؛ فهو يرى أن منهج الشافعي رحمه الله مبني على الظاهر في استنباط الأحكام، ولذلك رفض الشافعي كل دليل لا يعتمد على النص في عبارته، ولا إشارته، ولا دلالته. ومنهجه في تفسير الشريعة يعتمد على الناحية المادية لو استعرضنا بعض التعبيرات القانونية. وأيد الشيخ أبو زهرة دعواه بالأمثلة من فقه الإمام الشافعي رحمه الله[4].

---

[2] ناقش هذا الإشكال كثير من المستشرقين والكتَّاب الغربيين تحت هذا العنوان؛ انظر على سبيل المثال:

- J. Schacht, *The Origins of Muhammadan Jurisprudence* (Oxford: Clarendon Press, rev. ed. 1967).
- Yasin Dutton, *The Origins Of Islamic Law: the Qur'an, the Muwaṭṭa' and Madinan 'Amal* (Richmond: Curzon, 1999).
- H. Motzki, *The Origins of Islamic Jurisprudence,* M. Katz, tr. (Leiden: Brill, 2002).
- H. Berg, ed., *Method and Theory in the Study of Islamic Origins* (Leiden: Brill, 2003).
- W. Hallaq, *The Origins and Evolution of Islamic Law* (Cambridge: Cambridge University Press, 2005).

[3] ناقش جوزيف. أ. لوري (Joseph E. Lowry) ارتباط أصول الفقه عند الإمام الشافعي بأصول الفقه في مرحلة النضوج التي سمَّاها (mature *uṣūl al-fiqh*). وادَّعى أن ليس هناك أي ارتباط بينهما. انظر:

Joseph E. Lowry, *Early Islamic Legal Theory: The Risāla of Muḥammad ibn Idrīs al-Shāfi'ī* (Leiden: Brill, 2007) 359.

[4] وعبارة الشيخ هكذا: "ولذلك نستطيع أن نقول إنه يعتمد في تفسيره للشريعة، واستخراج أحكامها، والاستدلال بأصولها على فروعها على الظاهر الذي تدل عليه النصوص، ولذا رفض الاستحسان، لأنه يعتمد على ما ينقدح في نفس الفقيه، أو على روح الشريعة، وذوق الفقيه الذي تربى بالتمرس بالشريعة، والحذق فيها، والفهم لأصولها وفروعها، ومصادرها ومواردها، ورفضه الشافعي لأنه لا تعتمد على النص في عبارته ولا إشارته، ولا دلالته، ولو استعرضنا بعض التعبيرات القانونية لقلنا إن الشافعي يعتمد في تفسير الشريعة على الناحية المادية، فهو يأخذ بما يؤدي إليه النصوص وما ترمي إليه من غير نظر إلى ما سواها". انظر: مُحَمَّد أبو زهرة، **الشافعي حياته وعصره آراؤه وفقهه**، (القاهرة: دار الفكر العربي، د.ط، 1978م) ص335.

ولكن بعض الكُّتاب الآخرين وصلوا إلى عكس هذه النتيجة فقرّروا أن الإمام الشافعي بنى اجتهاداته على المعقول ومقاصد الشريعة، مثل الأستاذ الدكتور عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان[5]، وذلك في مبحث من كتابه المعَنون بـ"الاستدلال بالمعقول ومظاهره" فهو يدعي أن المعقول في مصطلح الإمام الشافعي معنى من معاني الاجتهاد أوسع وأعم من القياس يكتسب من التأمل والنظر في الأدلة الشرعية. والباحث المتتبع يلتمس في وضوح تام اهتمام الشافعي بالمعقول، والقياس نظراً وتطبيقاً، واستدلالاً، واستئناساً، وخلافاً بما لا يدع شكاً أنه أحد مظاهر تأثير فقه أهل الرأي، بله فقه شيخه مُحَمَّد بن الحسن الشيباني في فكره وفقهه، وقد أخذ هذا التأثير مظاهر عديدة[6].

وهذا غير سديد لأن المراد "بالمعقول عند الشافعي" ليس معنى أوسع من الاجتهاد، بل هو: الواضح البيّن المعنى، بحيث يفهمه المتلقي بمجرّد سماعه له، ويدلّ عليه نصّ الشافعي: "المعقول: هو الذي إذا تُكُلِّمَ به علم أنه كما قال"[7]، كما تدلّ عليه مواضع وروده في تطبيقات الشافعي في **الأم**. والشافعي أوسع الاجتهادات عنده هو القياس بمعناه العام، ولذلك فسّر الاجتهاد بالقياس نافياً بذلك أي ضربٍ من ضروب الاجتهاد من ورائه. فإن قيل: فالاستنباط من النّصوص ألا يعدّ اجتهاداً وهو ليس قياساً؟ فيقال: هو كذلك في اصطلاحنا، ولكن الشافعي لا يسمي الاستنباط من النّصوص اجتهاداً، بل يجعل الأخذ به أخذاً من النّص، ويسميه استنباطاً واستدلالاً، لكن لا يسميه اجتهاداً.

ومن الباحثين الغربيين من رأى أن الإمام الشافعي رحمه الله من ممثلي النظرية الوضعية القانونية (Legal Positivism)[8]، مثل إحسان عبد الواجد بغبي[9] في رسالته، وهي نظرية قانونية غربية مستعملة في اصطلاحها الخاص عند القانونيين الغربيين ولكن هذا الباحث أعطاها معنى أوسع من معناها في

---

[5] عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان، **منهجية الإمام مُحَمَّد بن إدريس الشافعي رحمه الله في الفقه وأصوله** (بيروت: دار ابن حزم، ط1، 1420هـ/1999م) ص47 و52-62.

[6] المرجع السابق، ص54.

[7] أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، **مناقب الشافعي**، تحقيق: السيد أحمد صقر (القاهرة: مكتبة دار التراث، ط1، 1390هـ/1970م) ج2، ص55.

[8] هذه نظرية قانونية غربية ومعناها: إن القانون في مجتمع مَّا متعلق بحقيقة المجتمع (the social thesis)، وليس هناك أي علاقة بين القانون والأخلاق (the separability thesis). انظر:

Dennis Patterson, ed., *A Companion to Philosophy of Law and Legal Theory* (UK: Blackwell, second ed. 2010) 228.

[9] Ihsan Abdul Wajid Bagby, *Utility in Classical Islamic Law: the Concept of Maṣlaḥah in Uṣūl al-Fiqh* (Michigan: University Microfilms International, 1986) 12.

القانون الغربي، وادعى أن هذه النظرية كما تنشأ من داخل المجتمع ولا تعطي للاعتبارات الخارجية عن المجتمع في تشكيل القانون أيَّ وزن، فأصول الشافعي رحمه الله كذلك لا تنظر إلى الواقع خارج النص بعين الاعتبار، والقانون أو الفقه منحصر عنده في النص الشرعي فحسب خلافاً للإمام مالك أو الإمام أبي حنيفة رحمهما الله اللَّذَيْن جعلا الواقع خارج النص صالحاً للعمل القانوني في اعتبارهما "المصلحة" و"الاستحسان" مصادر للأحكام الشرعية.

ويضطرب الرأي أكثر حين ندخل في صميم الموضوع، فهناك خلاف بين الباحثين في مصادر الشافعي رحمه الله لاستنباط الأحكام، والمعروف أنه رحمه الله يقول بنظرية المصادر الأربعة: الكتاب، والسنة، والإجماع، والقياس. ولكن انتُقِدَ هذا الرأي من بعض المستشرقين أنفسهم مثل جوزف أ. لوري في أطروحته حول كتاب «**الرسالة**»، وفي مقاله في هذه المسألة[10]، ووقع الخلاف أيضاً في مفهوم الإجماع والقياس عنده؛ وفي كيفية استعمالهما، هل في معنى واسع أم في معنى ضيق؟ وهل يقول بالمصلحة والمقاصد أم لا؟ بل إنّ أتباع الإمام الشافعي من الفقهاء والأصوليين يختلفون فيما بينهم في نسبة الآراء الأصولية للإمام مثل حجية الحديث المرسل، والعمل بمراسيل سعيد بن المسيّب، والإجماع السكوتي، ومسائل القياس وغيرها.

فهذه الإشكالات الكثيرة وغيرها تكمن في إشكال رئيسي، وهو **غياب أي دراسة شاملة لفكر الإمام الشافعي الأصولي حسب نظرية البيان** كما سبق. فلا بدّ لحلّ هذا الإشكال الرئيس ومعه إشكالات أخرى، أن ندرس أصول الفقه عند الإمام الشافعي رحمه الله دراسة شاملة حتى نخرج بمنظومة قانونية شاملة توضح المرحلة التأسيسية لتدوين علم أصول الفقه أتم توضيح.

أسئلة البحث وأهدافه

وهذه الإشكالية تثير أسئلة كثيرة عن مصادر الفكر الأصولي عند الشافعي، ومفهوم البيان وأقسامه عنده، وكيف وظّف منهجه الأصولي في الفروع. فسوف أقوم بالإجابة عنها، وأهدف من خلالها توضيح المصادر التي يستمدّ المنهج الأصولي عند الشافعي قوته، وبيان أدلة الأحكام عنده من مصنّفاته ومصنّفات العلماء الشافعية، وترتيب هذه الأدلة ومركزية الكتاب والسنة فيها، وأهميّة الاجتهاد/القياس المبني على الكتاب والسنّة في استنباط الفقه.

[10] Lowry, *Early Islamic Legal Theory*, 12; Joseph E. Lowry, "Does Shāfiʿī have a Theory of 'Four Sources' of Law?" in B. Weiss, ed., *Studies in Islamic Legal Theory* (Leiden: Brill, 2002) 23-50.

أهمية البحث

تتجلى أهمية هذه الدراسة فيما يلي:

أولا: إن إسهامات الإمام الشافعي رحمه الله في علم أصول الفقه في غاية الأهميّة بحيث إنه يُعَدُّ أوَّلَ من مزج بين مدرستي أصحاب الحديث وأصحاب الرأي، ويعتبر منهجه الأصولي قانوناً كلياً لفهم وتفسير النصوص ومن ثمَّ استنباط الأحكام.

ثانيا: كانت للعلماء المتقدمين مناهج علمية منضبطة بعيداً عن الأمزجة النفسية والتخيلات التي لا تمت إلى العقل والعلم بصلة، والإمام الشافعي رحمه الله رائد هذا الميدان، فلا بد لتشكيل تعبير صحيح وأصيل للدين في كل العصور وخاصةً في عصرنا المليء بالشبهات والفتن أن نبرز منهجه وفكره الأصولي لكي تتضح لنا صور تلك المناهج العلمية الدقيقة.

ثالثا: راج في هذه الأيام القول بأن مفكري الغرب أسّسوا مناهج البحث العلمي ومن ثم استعارت معظم المؤسسات الفكرية المسلمة منهجهم في البحث عن المعرفة أيا كانت؛ ولكننا غافلون عن تراثنا الضخم ومنه ما قدّمه الإمام الشافعي رحمه الله وأصَّله في مجال البحث العلمي، وسوف تكشف آراء الإمام الشافعي رحمه الله في مجال أصول الفقه – وهو بمثابة المنهج العلمي للبحث المعرفي أيضاً – تزييف دعوى الغرب بأن المناهج العلمية من مبتكراتهم، آملاً أن ترجع إلى المسلمين الثقة في تراثهم.

حدود البحث

إن فكر الإمام الشافعي الأصولي منحصر أساساً في كتابيه: «**الرسالة**» و «**كتاب الأم**». وتعدّ الرسالة كتاباً يظهر فيه فكر الشافعي الأصولي بكل وضوح، وهذا الكتاب أتى في غاية التناسق ومباحثه مرتبطة بعضها ببعض في شكل دقيق، وقد وظَّف الإمام الشافعي رحمه الله ما نوّه به في «رسالته» في فقهه المتمثل في «**كتاب الأم**».

إذن، فالبحث يدور أساساً حول هذين الكتابين، ولكن سوف أرجع إلى كتاباته الأخرى مثل «**جماع العلم**»، و «**اختلاف الحديث**»، وغيرها من الكتب، أو من كلامه المجموع مثل «**كتاب أحكام القرآن**» جمع الإمام البيهقي، لكي تكتمل صورة فكره الأصولي.

وكذلك لا بدّ أن نأخذ بعين الاعتبار ما كتبه أصحاب الشافعي رحمه الله وعلماء مذهبه في شرح وتوضيح آرائه ومنهجه. وأهم تلك الكتابات «**المختصر**» للإمام المزني، وشرحه للإمام الماوردي «**الحاوي**»، وكتابات الإمام الحافظ العلائي الأصولية الفقهية، وكتابات الإمام الغزالي مثل «**حقيقة القولين**» وغيرها من الكتب.

منهج البحث

اتبعتُ في هذه الدراسة منهجين، وهما:

1. **المنهج الوصفي:**

وهذا بجمع أطراف أو أجزاء جسم الفكر الأصولي عند الشافعي، والتي تناثرت في أحشاء تراثه، ووصفها وصفاً علمياً متناسقاً، ويتحقق هذا باستقراء معظم ما كتبه الإمام الشافعي رحمه الله بنفسه في الفقه وأصوله وما كتبه عنه أصحابه قدر المستطاع، ومن أهمِّها: "كتب المناقب" مثل: «**مناقب الشافعي**» للبيهقي،[11] و«**مناقب الإمام الشافعي**» للرازي[12]، و«**آداب الشافعي ومناقبه**» لابن أبي حاتم[13]، و«**مناقب الأئمة الأربعة**» لابن عبد الهادي[14]، و«**توالي التأسيس**[15] **لمعالي مُحَمَّد بن إدريس**» للحافظ ابن حجر[16]، و«**مناقب**

---

[11] أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، **مناقب الشافعي**، تحقيق: السيد أحمد صقر (القاهرة: مكتبة دار التراث، ط1، 1390هـ/1970م).

[12] مُحَمَّد بن عمر بن الحسين الرازي، **مناقب الإمام الشافعي**، تحقيق: الدكتور أحمد حجازي السقا (القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، ط1، 1406هـ/1986م).

[13] أبو مُحَمَّد عبد الرحمن بن أبي حاتم، **آداب الشافعي ومناقبه**، قدم له وحقق أصله وعلّق عليه: صاحب الفضيلة الشيخ عبد الغني عبد الخالق (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1424هـ/2003م).

[14] أبو عبد الله مُحَمَّد بن أحمد بن عبد الهادي المقدسي، **مناقب الأئمة الأربعة**، حققه: سليمان مسلم الحرش (د.م: دار المؤيد، د.ط، د.ت).

[15] ويرى شيخنا الدكتور حسن بن إبراهيم الهنداوي حفظه الله أن كلمة "التأنيس" أصح من "التأسيس". وقال هذا أثناء شرحه لرسالة الإمام الشافعي.

[16] ابن حجر العسقلاني، **توالي التأسيس لمعالي مُحَمَّد بن إدريس**، حققه: أبو الفداء عبد الله القاضي (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1406هـ/1986م).

الإمام الشافعي» للإمام الآبري[17]، و«**الجوهر النفيس في تاريخ حياة مُحَمَّد بن إدريس**» لمحمد أفندي مصطفى[18]، وتُستقرأ أيضاً كتب الشافعية الأصولية والفقهية على قدر المستطاع، فلا يخلو أي كتاب منها من ذكر الإمام الشافعي وآرائه، خاصةً «**البحر المحيط**» للإمام الزركشي لأنه اجتمع عنده في هذا الفن ما يربو على المئين من الكتب كما ذكر في المقدمة وكان عنده الاطلاع على الشروح الأربعة لرسالة الإمام الشافعي المفقودة الآن[19].

2. **المنهج التحليلي:**

وهو منهج يقوم على دراسة الإشكالات العلمية المختلفة، تفكيكاً، أو تركيباً، أو تقويماً[20].

وهذا المنهج يُستخدم من خلال خطوات ثلاث:

أولا: التفسير، وعُبِّر عنه بالتفكيك، وهو عرض الأعمال العلمية، على سبيل التأويل، والتعليل وهو عمل علمي جليل؛ وأستخدمه في عرض آراء الشافعي رحمه الله الأصولية وأحاول أن أؤوِّلها تأويلا صحيحاً وأعلِّلَها تعليلاً صائباً، لأن نشوء اضطراب في تقويم شخصية الشافعي الأصولية يرجع إلى خطأ في فهم كلامه أو تأويله تأويلاً غير صحيح.

ثانيا: النقد، وهو عملية تقويم، وتصحيح، وترشيد؛ وعليه، فإنه لا يكون بمعنى النقض، بل هو محاكمة إلى قواعد متفق عليها، أو إلى نسق كلي[21]، فلا بدّ بعد تفكيك كلام الشافعي أن يبيَّن فيها الصواب من الخطأ، وهذا يتلاءم أيضاً مع منهجه الذي مبناه عدم قبول قولٍ بلا حجة.

ثالثا: الاستنباط، والمراد به الاستنتاج الاجتهادي، والتجديد العلمي، وهذه الخطوة نتيجة طبيعية للخطوات السابقة، وهي الأخيرة في إظهار الفكر الأصولي عند الإمام الشافعي رحمه

---

[17] مُحَمَّد بن الحسين بن إبراهيم بن عاصم الآبري السجستاني، **مناقب الإمام الشافعي**، تحقيق: الدكتور جمال عزون (الأردن: الدار الأثرية، ط1، 1430هـ/2009م).

[18] مُحَمَّد أفندي مصطفى، **الجوهر النفيس في تاريخ حياة الإمام مُحَمَّد بن إدريس** (القاهرة: المطبعة الحسينية، د.ط، 1326هـ/1908م).

[19] بدر الدين مُحَمَّد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، **البحر المحيط**، قام بتحريره: الشيخ عبد القادر عبد الله العاني (الكويت: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، ط2، 1413هـ/1992م) ص6-7.

[20] فريد الأنصاري، **أبجديات البحث في العلوم الشرعية: محاولة في التأصيل المنهجي** (القاهرة: دار السلام، ط2، 2010/1431م) ص96.

[21] المرجع السابق، ص121.

الله، وسوف أستنبط من المعلومات المجموعة والمستقرأة بعد تفكيكها ونقدها فكر الشافعي الأصولي خالصاً ﴿**مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ**﴾ (النحل: 66) بإذن الله تعالى.

الدِّراسات السّابقة

لم يؤلَّف كتاب أو بحث أو مقال في مجال الفقه وأصوله في الزمن القديم والجديد إلا جاء فيه ذكر الإمام الشافعي رحمه الله أصالةً أو تبعاً، ولا يُستغرب هذا، لأنه أوّل من دوّن علم أصول الفقه وأرسى قواعده؛ يقول الإمام الزركشي رحمه الله: «الشافعي ﷺ أول من صنّف في أصول الفقه، صنّف فيه كتاب "**الرسالة**" وكتاب "**أحكام القرآن**" و"**اختلاف الحديث**" و"**إبطال الاستحسان**" وكتاب "**جماع العلم**" وكتاب "**القياس**" الذي ذكر فيه تضليل المعتزلة ورجوعه عن قبول شهادتهم، ثم تبعه المصنّفون في الأصول»[22].

ومن أهم الدراسات المعاصرة حول أصول الشافعي باللغة العربية والإنجليزية:

الدراسات العربية (كتب ورسائل ومقالات):

- إنّ أوّل محاولة في تقديم فكر الشافعي الأصولي في العصر الراهن تشكّلَت في كتاب الشيخ أبي زهرة رحمه الله: «**الشافعي حياته وعصره – آراؤه وفقهه**»[23]، فتكلّم الشيخ فيه عن أصول الشافعي رحمه الله في القسم الثاني من الكتاب وهو مختصٌّ بآراء الشافعي وفقهه، واستوعب هذا القسم تقريباً كل آرائه الأصولية خاصةً المبحث «**أصول الشافعي**» وما بعده[24]. وهو عرضٌ وجمعٌ حسنٌ من الشيخ، وله فضل السبق في هذا الباب، وحاول الشيخ أن يرجّح في عدة مسائل، ولكن يبدو أنه لم يستقرئها من مواردها، ولم يتطرق إلى تحليلها ورفع الإشكال والاضطراب في نسبة كثير من المسائل الأصولية إلى الإمام الشافعي، خاصةً مسألة مصادره في استنباط الأحكام الشرعية.

---

[22] الزركشي، **البحر المحيط**، ج1، ص10.

[23] مُحَمَّد أبو زهرة، **الشافعي حياته وعصره، آراؤه وفقهه** (القاهرة: دار الفكر العربي، ط2، 1367هـ/1940م).

[24] مُحَمَّد أبو زهرة، **الشافعي**، ص186-392.

- «**الإمام الشافعي في مذهبيه: القديم والجديد**»[25] للدكتور أحمد نحراوي عبد السلام الإندونيسي. وأصله رسالة نوقشت لنيل الدكتوراه من كلية الشريعة والقانون، بجامعة الأزهر. وهذا البحث جيد من ناحية اتباع البحث العلمي، وهو دراسة شاملة عن فكر الإمام الشافعي الفقهي. وتكلّم عن الفكر الأصولي عند الشافعي في الفصل الأول من الباب الثالث. ومن قراءته يتبين أنه مجرد عرض بدون أي تحليل. وأنه أخذ معظم مواد هذا الباب خاصةً والأبواب الأخرى عامةً من كتاب الشيخ أبي زهرة رحمه الله.
- دراسة **للرسالة** بعنوان «**الرسالة للإمام الشافعي**»، وضع الدكتور مُحَمَّد نبيل غنايم[26]. يعتبر هذا الكتاب شرحاً مختصراً وتعليقاً لكتاب **الرسالة**، وتعليق الدكتور غنايم أوسع من تعليق الشيخ أحمد ولكن تعليق أحمد شاكر أدقّ. ويفيد هذا الكتاب في توضيح بعض العبارات المنغلقة في الرسالة التي سببها لغة الإمام الشافعي الفصيحة، وشرح بعض الفقرات التي يصعب فهمها من أول نظرة. ولكن الفكر الشافعي ليس عبارة عن النظريات في كتاب **الرسالة** فحسب، بل توظيف هذه النظريات في "**الأم**" مهم جداً وسوف أتطرق إلى هذا الجانب.
- «**تقريب أصول الشافعي**»[27] بتهذيب الرسالة ومباحث الأصول من **الأم** وغيره، لحسن معلم داود حاج مُحَمَّد، المنشور على الإنترنت ولم يطبع. يقول عن كتابه: «وهذا الكتاب جمع مهذّب لأصول الشافعي رحمه الله تعالى مع ترتيبها على الأبواب الأصولية المألوفة عند المتأخرين، حتى يستوعب القارئ كلام الشافعي ويعرف ارتباط عباراته وتناسقها، ويصحب ذلك شرح ما قد يصعب من ألفاظ الشافعي وجمل كلامه»[28]. فإن هذا الكتاب يسهِّل للقارئ فهمَ واستيعابَ أقوال الشافعي من مختلف كتبه وكتب أصحابه والعلماء الشافعية، وإنه مفيد في هذا الباب ولكنه مجرّد نقل بدون تحليل وتنظير.

---

[25] أحمد نحراوي عبد السلام الإندونيسي، **الإمام الشافعي في مذهبيه القديم والجديد** (القاهرة: مكتبة الشباب، ط1، 1408هـ/1988م)

[26] مُحَمَّد نبيل غنايم، **الرسالة للإمام الشافعي**، (القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، ط1، 1408هـ/1988م).

[27] حسن معلم داود حاج مُحَمَّد، **تقريب أصول الشافعي بتهذيب الرسالة ومباحث الأصول من الأم وغيره** (نشرة على الانترنت، 1435هـ).

[28] المرجع السابق، ص2.

- «**مجرَّد مقالات الشافعي في الأصول**»[29] لمشاري بن سعد الشثري، فإن مادّة هذا الكتاب تتعلق بمقالات الشافعي الأصولية، وهي النصوص التقعيدية التي أراد بها الشافعي تقرير أصل من أصوله في الفقه والنظر، فصرّح به أصالةً: بأن يكون غرضه ومساق كلامه التقرير لذلك الأصل، أو تبعاً: بأن يكون غرضه الإبانة عن حجته في قول له، وهو في كلا الحالين مصرّح بأصله، ناصٌّ عليه. وهو لا يتناول: التقريرات التي لم تنتظمها عبارة تقعيدية تأصيلية، والتقريرات الفروعية التي يفهم منها مأخذه الأصولي[30]، فكان هذا المجرَّد من أصول الشافعي بمنزلة "مبسوط" البيهقي من فقهه[31]. وقد بناه المؤلف على "جهات العلم" فقال: «ويمكن أن نجعل القول في جهات العلم هو الضابط لسائر مقالات الشافعي في الأصول»[32]. وهي: الكتاب، والسنة، والإجماع، والقياس، وهذه الأربعة أصول النظر والاستدلال عند الشافعي، إلا أنه يضمّ إليها جهات أخرى لها تعلّق بها، وهي: ما لم يعلم له مخالف من أهل العلم، وآثار الصحابة، والمعقول. وتختلف دراستي عنه في المبنى والمنهج، فصاحب «المجرّد» بنى عمله على "جهات العلم" وهي نفس نظرية المصادر الأربعة عند غيره، وأمَّا أنا فبنيت بحثي على **نظرية البيان**. وهو جرّد كتابه عن التوظيف الفقهي لأصول الشافعي وتحليلها، واكتفى بمجرد نقل وجمع كلامه، وذلك حسن، وأنا بذلت جهدي في التمثيل والتنظير والتحليل الفقهي من كتب الشافعي وكتب أصحابه والعلماء الشافعية.
- «**عبقرية الإمام الشافعي: المدد والمداد**»[33]، للمصنّف نفسه. وهذا الكتاب يقصد إلى تقديم أنموذج عالٍ للعبقرية العلمية، «متجسِّدة في الإمام الشافعي ﷺ»، وذلك بقصد استلهام مكونات عبقريته لاستنبات عبقريّات أخرى في محيطنا العلمي، فما أحوج الأمة اليوم إلى قيادات علمية عبقرية تحسن أن تتفاعل مع واقعها بحكمة ناجزة وخبرة نافذة، مسبوقة بتأصيل علمي مكين وهضم تام للمنجز المعرفي التراثي، تأتلف في أطروحتها مكونات العلم

---

[29] مشاري بن سعد الشثري، **مجرَّد مقالات الشافعي في الأصول** (الرياض: مجلة البيان، ط1، 1439هـ/2018م).

[30] المرجع السابق، ص55.

[31] المرجع السابق، ص66.

[32] المرجع السابق، ص39.

[33] مشاري بن سعد بن عبد الله الشثري، **عبقرية الإمام الشافعي** (الرياض: مركز البيان للبحوث والدراسات، ط1، 1440هـ/2019م).

والمنهج من جهة، وسمات المعاصرة والتفاعل الحضاري من جهة أخرى، شأنها في ذلك شأن قدواتها التاريخية الملهمة التي كان لإسهامها قدم صدق في الرقيّ بهذه الأمة». وقد قسّم المؤلف الكتاب قسمين:

الأول: عرض فيه لما يقرب أن يكون سيرة موضوعية للشافعي تمثل العبقرية ودعائمها أساساً لعرضها وسياقها.

والثاني: فصّل فيه القول فيما يتعلق بتأثر الشافعي وتأثيره، باتصاله بالمدارس المعرفية في زمانه وانفصاله عنها. وقد تضمن القسمان النظر في **إمداد العبقرية** ما أمدَّتْه وما أمِدَّتْ به.

- «**موقف الاتجاه الحداثي من الإمام الشافعي: عرض ونقد**»[34] للدكتور أحمد قوشتي عبد الرحيم. وقبل الوقوف على هذا الكتاب، كانت نيتي أن أدرج هنا بعض الدراسات المهمة للحداثيين العرب عن الإمام الشافعي و"هو من نال النصيب الأكبر من اهتمام الحداثيين ونقدهم، في حالة تثير التساؤل، وتلفت النظر من كثرة التتابع والتكرار، والتشابه في الأفكار لدرجة التقليد والاجترار، بحيث يندر أن نجد واحداً منهم لم يتعرض للشافعي بصورة أو بأخرى، فضلاً عن الكتب المستقلة التي ألفت عنه وتوالي النصوص في نقده نقداً لاذعاً، وتحميله ما يصفونه **بسجن العقل الإسلامي وتكبيله**، ومنعه من الإنطلاق بحرية تامة"[35]، فلما طالعت هذا الكتاب، وجدت بغيتي فيه. فإن المصنف تصوّر آراء الحداثيين تصوُّراً صحيحاً وناقش آراء أشهرهم مثل جورج طرابيشي، وأدونيس، وزكريا أوزون، والصادق النيهوم، وعبد المجيد الشرقي، ومُحَمَّد أركون، ومُحَمَّد شحرور، ومُحَمَّد عابد الجابري، ونصر أبو زيد. فيظهر من هذا السِّفر أن انتقاد الحداثيين الشافعيَّ مبني على الادعاء لم يسعفه الدليل، وتحته حقد دفين ونفاق كمين، وتعريب مع الإضافات لآراء المستشرقين أعداء الدين[36].

---

[34] أحمد قوشتي عبد الرحيم، **موقف الاتجاه الحداثي من الإمام الشافعي: عرض ونقد** (جدة: مركز التأصيل للدراسات والبحوث، ط1، 1437هـ/2016م).

[35] المرجع السابق، ص6.

[36] وثمّة كتاب نفيس آخر في النقد على الحداثيين العرب وهو: أبو الطيب مولود السريري، **أصول نقد القول العلماني في المعرفة الدينية: المقدمة الأولى** (المغرب: مركز يقين، ط1، 1440هـ/2019م).